موقف الطاهر ابن عاشور
من الرسم العثماني
من خلال تفسيره التحرير والتنوير

إعداد

الدكتور / الصافي صلاح الصافي

أستاذ القراءات وعلومها المساعد

بكلية القرآن الكريم بطنطا

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الخلق وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد

فإن علم الرسم العثماني من أهم علوم القرآن الكريم وأقدمها موضوعاً وتأليفاً ، حيث يتعلق برسم القرآن الكريم ، وترجع مادته إلى عصر الصحابة الكرام الذين دونوا القرآن في زمن النبي ﷺ فيما تيسر لهم من العسب والرقاع واللخاف وغـــير ذلـــك ، وجمعوه في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ونسخوه في المصاحف في خلافـــة عثمان بن عفان ﷺ .

ومع أن الأمة العربية التي نزل القرآن الكريم بلغتها كانت تعتمد على الحفظ أكثر من اعتمادها على الكتابة ، فإن عناية رسول الله ﷺ وصحابته بالقرآن الكريم لم تقتصر فقط على حفظه واستظهاره وجمعه في الصدور ، وإنما اهتموا أيضاً بتدوينه وكتابته بـــين السطور زيادة في ضبطه ومبالغة في توثيقه ، فقد اتخذ الرسول ﷺ كتّاباً يكتبون له الوحي فور نزوله ، وكان هؤلاء الكتاب ممن برعوا في فن الكتابة في ذلك الوقـــت ، فكـــانوا يكتبون ما نزل من القرآن بحضرة النبي ﷺ وبإملائه ، ويعرضون عليه المرة بعد المرة حتى يقرهم ، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ ، ثم كان جمعه في صـــحف في عهـــد سيدنا أبي بكر ، ونسخ هذا المجموع في مصاحف متعددة في عهد سيدنا عثمان ، وإرسال هذه المصاحف إلى الأمصار المختلفة .

وبذلك عضدت الكتابة الحفظ ، وسارت معه جنباً إلى جنب في مختلف أطـــوار

القرآن الكريم ومراحله ، وكان اختصاص القرآن الكريم بهذه الصورة الفريدة في نقله، والتي تجمع بين المحفوظ في الصدور والمدون في السطور ، وهذا ما لم يحظ بـــه كتـــاب سماوي آخر ، ومن ثم صار الرسم أساساً في حفظ القرآن الكريم، وصارت موافقته أحد أركان القراءة الصحيحة .

هذا ، وقد تمثلت عناية العلماء متقدميهم ومتأخريهم بهذا الفن – أعني فن الرسم العثماني – فيما ألف فيه من مؤلفات كثيرة مستقلة ، كـــذلك فيمـــا أوردوه في ثنايـــا مؤلفاتهم من مسائله وقضاياه ، ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بهذا الفن وعرضوا لجل مسائله في ثنايا مؤلفاتهم العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، أحد العلماء المعاصرين ، وذلك في تفسيره " التحرير والتنوير " ، ويعد هذا التفسير موسوعة علمية شاملة لكثير من العلوم الإسلامية والعربية ، فهو ليس تفسيراً للقرآن فحسب ، وإنما ضم في ثنايـــاه الفقه والأصول والنحو والحديث والقراءات وغيرها من العلـــوم ، ومـــن ثم كثـــرت الدراسات والأبحاث حول هذا التفسير العظيم ، وشملت مختلف هذه الجوانب، لكني لم أر – حسب اطلاعي – من تناول جانب الرسم العثماني في هذا التفسير، على الرغم مـــن تضمنه قدراً كبيراً من مسائل هذا الفن وأسسه وقواعده ، فاستعنت بالله تعالى في بيـــان موقف الشيخ ابن عاشور من هذا الجانب من خلال هذا السفر العظيم ، موضحاً مـــا عرض له من مسائل هذا الفن كالحث على متابعة الرسم ، والرد على وقوع الخطأ فيه، والربط بين الرسم والقراءة ، والاحتجاج به لها ، وأثره في الترجيح بين القراءات ، وغير ذلك مما سيأتي ذكره بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي(١) المقترن بالمنهج الوصفي(٢) ، ثم المنهج التحليلي(٣) ، حيث إن طبيعة البحث تقتضي استخلاص المادة العلمية للقضية المذكورة ووصفها من خلال النصوص الخاصة بها، ثم تحليل هذه النصوص والإفادة منها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث فيه وخطته .

وأما التمهيد : فقد عرفت فيه بالشيخ ابن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير ، وكذلك الرسم العثماني .

وأما المباحث فهي على النحو التالي :

المبحث الأول : الرسم العثماني وصحة القراءة عند ابن عاشور .

المبحث الثاني : الأصل في القراءة النقل والرواية وليس الرسم .

المبحث الثالث : الرد على وقوع الخطأ في كتابة المصحف .

المبحث الرابع : الحث على عدم مخالفة الرسم لكونه سنة متبعة .

---

(١) المنهج الاستقرائي : هو عبارة عن ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية ، حيث يبدأ بالجزيئات ليصل منها إلى قوانين عامة . ينظر : مناهج البحث العلمي للدكتور / زاهر زكار ١٢٢ ، والبحث العلمي ، حقيقته ومصادره ومناهجه للدكتور / عبد العزيز بن علي الربيعة ١ / ١٧٨ .

(٢) المنهج الوصفي : هو ما يقوم على وصف الظواهر وعرضها عرضاً مرتباً ترتيباً منهجياً للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية . ينظر : السابق ١ / ١٧٩ ، وأبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور / فريد الأنصاري ٦٦ وما بعدها .

(٣) المنهج التحليلي : هو ما يقوم على ثلاثة أسس : وهى التفسير والنقد والاستنباط . ينظر : السابق نفسه .

المبحث الخامس : الاحتجاج للقراءة بموافقتها الرسم .

المبحث السادس : أثر الرسم العثماني في الترجيح بين القراءات .

المبحث السابع : تعليل ظواهر الرسم عند ابن عاشور .

المبحث الثامن : مآخذ على ابن عاشور في قضية الرسم العثماني

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث .

والله أسأل التوفيق والسداد

تمهيـد

وفيه التعريف بابن عاشور وتفسره التحرير والتنوير والرسم العثماني .

- **الطاهر ابن عاشور:**

هو الشيخ الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور الأندلسي ثم التونسي .

ولد عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) بضاحية المرسي ، وهي من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية ، ونشأ نشأة علمية ، فقد بدأ تعلم القرآن الكريم في منزله في سن السادسة من عمره وحفظه ، ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية ، كمتن الآجرومية في النحو ، وابن عاشر في الفقه المالكي وغير ذلك .

تلقى العلم بفروعه المختلفة على عدد كبير من العلماء كالشيخ أحمد بدر الكافي ، والشيخ محمد صالح الشريف ، والشيخ عبد القادر التميمي ، والشيخ عمر ابن عاشور ، والشيخ محمد صالح الشاهد ، والشيخ محمد عثمان النجار وغيرهم ، وقد أثار إعجاب شيوخه وأقرانه ، وكان يقضي جل وقته في طلب العلم ومطالعة الكتب حتى اكتسب ثقافة واسعة شملت القراءات والتفسير والحديث واللغة والتاريخ والمنطق وغير ذلك من العلوم.

وقد تولى ابن عاشور التدريس في جامع الزيتونة مدة طويلة ، وكذا في المدرسة الصادقية ، فقصده طلاب العلم وازدحموا عليه وتتلمذوا على يديه ، منهم ابنه محمد الفاضل ابن عاشور، ومحمد الصادق الشطي ، وزين العابدين بن حسين، ومحمد بن خليفة المدني وغيرهم .

من مؤلفاته :

في التفسير : التحرير والتنوير .

وفي الحديث : كشف المغطأ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، والنظر الفسيح

عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح .

وفي الفقه وأصوله : قضايا وأحكام فقهية ، ومقاصد الشريعة الإسلامية .

وفي الاجتماعيات : النظام الاجتماعي في الإسلام ، وأصول التقدم في الإسلام .

وفي الأدب والنقد : أصول الإنشاء والخطابة ، والواضح في مشكلات شعر المتنبي.

وفي التاريخ والتراجم : تراجم بعض الأعلام ، وكتاب تاريخ العرب .

توفي ــ رحمه الله ــ يوم الأحد الثالث عشر من رجب عام ١٣٩٣هـ ، الموافق الثاني عشر من أغسطس عام ١٩٧٣م عن عمر يقارب سبعاً وتسعين عاماً، قضاها في العلم والمعرفة [١] .

- **التحريروالتنوير:**

يعتبر تفسير التحرير والتنوير من أهم وأدق ما كتب في تفسير القرآن العظيم في العصر الحديث، وهو في الحقيقة تفسير بلاغي ، لكن مؤلفه ــ رحمه الله ــ لم يقتصر فيه على الاهتمام بالدقائق البلاغية فحسب، وإنما ضمنه كثيراً من مسائل العلوم الأخرى كالقراءات والنحو والحديث والفقه والعقيدة وغير ذلك .

وقد سماه مؤلفه " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" واختصر هذا الاسم باسم " التحرير والتنوير من التفسير " [٢] ، ثم اشتهر باسم

(١) ينظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور للشيخ / محمد الحبيب بن الخوجة ١ / ١٥٣ ، ومن أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور ، للدكتور / بلقاسم الغالي ٣٧ ، ومحمد الطاهر ابن عاشور ، للأستاذ / إياد خالد الطباع ٢٩ ، والإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه فى توجيه القراءات للدكتور / محمد بن سعد القرني ٩ ــ ٣٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١ / ٨ ، ٩ .

" تفسير التحرير والتنوير " ، ويقع في ثلاثين جزءًا في خمسة عشر مجلداً، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس .

وقد أفنى فيه مؤلفه ثمرة وقته وعصارة ذهنه وضمنه الأقوال المفيدة والمباحث النافعة والفوائد الجمة ، يقول ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ في مقدمة هذا التفسير : " وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتاً على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير ، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير" [(١)] .

وأبان في المقدمة أيضاً عن منهجه في تفسيره المذكور ، ويتلخص في النقاط الآتية :

- بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون – كما قال – عوناً للباحث في التفسير.
- حرص على بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة، وأساليب الاستعمال.
- اهتم ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.
- اعتنى ببيان أغراض السور قبل الشروع في تفسيرها.
- اهتم بتحليل الألفاظ وتبيين معاني المفردات بضبط وتحقيق.
- حرص على استنباط الفوائد واستلهام العبر من القرآن الكريم.

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب سنة ثمانين وثلاث مائة وألف (١٣٨٠هـــ) ، وكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة .

وختم الشيخ ابن عاشور هذا السفر العظيم بقوله : " وإن كلام رب الناس حقيق بأن يُخدم سعياً على الرأس ، وما أدى هذا الحقَّ إلا قلمُ مفسرٍ يسعى على القرطاس ،

---

(١) السابق ١ / ٨ .

وإن قلمي طالما استنّ بشوط فسيح ، وكم زُجر عن الكَلالِ والإعياء زَجْرَ المَنيح ، وإذ قد أتى على التمام فقد حَقّ لَه أن يستريح " [١] .

- **الرسم العثماني :**

الرسم في اللغة : الأثر، وقيل : بقية الأثر ، وقيل : هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل : هو ما لصق بالأرض منها ، ورسْمُ الدار : ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض ، والجمع : أرسُمٌ ورسُومٌ [٢] ، ويقال : رسمت الكتاب، أي : كتبته، ورسم على كذا، أي : كتب [٣] ، ويؤخذ من ذلك أن الرسم يطلق في اللغة ويراد به العلامة ، وأصله الأثر أو بقية الأثر.

وفي الاصطلاح : هو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم في جميع مراحله الكتابية ، التي كان آخرها كتابته في عهد عثمان رضي الله عنه [٤] .

أو يقال : هو علم جليل تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم الإملائي وقواعده المقررة فيه [٥] .

ويسمى رسم المصحف ، والرسم العثماني ، ويسمى كذلك الرسم القرآني .

---

(١) السابق ٣٠ / ٦٣٦ .
وينظر : مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ٣٧ ، واستدراكات ابن عاشور على الطبري وابن عطية فى تفسيره التحرير والتنوير ، دراسة نظرية تطبيقية ، لخالد بن محمد بن صالح الشهراني ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) لسان العرب لابن منظور (ر س م) .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، والمصباح المنير للفيومي . المادة نفسها .

(٤) رسم المصحف ونقطه للدكتور / عبد الحي الفرماوي ١٦٦ .

(٥) السابق نفسه ، نقلاً عن دليل الحيران للخراز ٣١ ، ٣٢ .

وليس معنى نسبة هذا الرسم إلى سيدنا عثمان ﷺ أنه هو الذي ابتكره أو خالف به رسماً تم بين يدي النبي ﷺ ، وإنما كانت هذه النسبة ؛ لأن الفضل يرجع إلى سيدنا عثمان ﷺ في نسخ هذا الرسم وتعميمه وإذاعته في الآفاق والأمصار بعد وصول المصاحف إليها ، وإلى الطريقة التي رسمت بها هذه المصاحف [١] .

(١) رسم المصحف ونقطة ١٦٦ ، ١٦٧ .

المبحث الأول

الرسم العثماني وصحة القراءة عند ابن عاشور

إن موافقة القراءة رسم أحد المصاحف العثمانية من الضوابط التي وضعها العلماء ، والتي لابد من تحققها حتى تقبل القراءة ويحكم بصحتها ، وقد حكى ابن عاشور اتفاق العلماء على ذلك في المقدمة السادسة من المقدمات العشر التي ابتدأ بها تفسيره، حيث قال : " اتفق علماء القراءات والفقهاء على أن كل قراءة وافقت وجهاً في العربية ووافقت خط المصحف ــ أي مصحف عثمان ــ وصح سند راويها ، فهي قراءة صحيحة لا يجوز ردها " [(١)] ، وهذا ما قرره علماء القراءات من وقت أن ظهر اللحن في الألسنة ، وقلّ الاتفاق في ضبط الحروف ، واختلط أهل الدراية بأهل الرواية ، وتسلل الخطأ إلى الحفظ، واختلطت الروايات المشهورة الصحيحة بالروايات الشاذة ، كل أولئك كان سبباً في وضع علماء القراءة هذه الضوابط؛ لأن القراءة لا مجال فيها للرأي ولا للقياس، بل لابد من التلقي والسماع .

وعن هذه الضوابط يقول المحقق ابن الجزري : " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم " [(٢)].

لكن المتأمل هذه الشروط يجد أن موافقة العربية والرسم العثماني ليسا شرطين

---

(١) التحرير والتنوير ١ / ٥٣ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ١٥ .

بالمعنى المفهوم للشرطية، بمعنى أنه إذا انتفى ينتفي المشروط؛ لأن ذلك لم يقع ، إذ لا توجد قراءة ثابتة متواترة مخالفة للعربية أو الرسم؛ لأن القراءة متى تواترت وجب أن يكون لها وجه في العربية وأن تكون موافقة لرسم المصحف ، وبمجرد تواترها يقطع بأنها قرآن منزل ، وهي حينئذ دليل قطعي لا مناقشة في ثبوته ، وينعقد عليها الإجماع ، ويتضح من ذلك أن هذين الشرطين نتيجة لازمة لتواتر القراءة (١).

وهذا ما قرره ابن عاشور وأكد عليه في تعليقه على الشروط المذكورة بقوله : " وهذه الشروط الثلاثة هي شروط في قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بأن كانت صحيحة السند إلى النبي، ولكنها لم تبلغ حد التواتر ، فهي بمنزلة الحديث الصحيح ، وأما القراءة المتواترة فهي غنية عن هذه الشروط؛ لأن تواترها يجعلها حجة في العربية ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه، ألا ترى أن جمعاً من أهل القراءات المتواترة قرأوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (٢) بظاء مشالة (٣)، أي بمتهم ، وقد كتبت في المصاحف كلها بالضاد الساقطة ؟ " (٤).

ثم يعرض ابن عاشور لبيان المراد بموافقة خط المصحف قائلاً : " والمراد بموافقة خط المصحف موافقة أحد المصاحف الأئمة التي وجه بها عثمان بن عفان إلى أمصار الإسلام، إذ قد يكون اختلاف يسير نادر بين بعضها، مثل زيادة الواو في ﴿ وَسَارِعُوا۟

(١) ينظر : القراءات الشاذة ، دارسة لنشأتها ومعاييرها لأستاذنا الدكتور / سامي هلال . ٥٤ .

(٢) سورة التكوير : ٢٤ .

(٣) قرأ بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس ، وبالضاد قرأ الباقون . النشر ٢ / ٢٩٨ ، والإتحاف ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(٤) التحرير والتنوير ١ / ٥٣ ، ٥٤ ، وينظر : المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني ٩٥ ، ٩٦ ، والمختصر في مرسوم المصحف الكريم لأبي الطاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي ١٠٨ ، وجميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري ٣٩٨ .

﴿ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (١) في مصحف الكوفة (٢)، ومثل زيادة الفاء في قوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ في سورة الشورى (٣) ، ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا ﴾ (٤) ، أو (إحساناً) فذلك اختلاف ناشئ عن القراءة بالوجهين بين الحفاظ من زمن الصحابة الذين تلقَّوا القرآن عن النبيﷺ؛ لأنه قد أثبته ناسخوا المصحف في زمن عثمان، فلا ينافي التواتر إذ لا تعارض ..." (٥).

وقد شرح علماء القراءات هذا الضابط – أعني موافقة الرسم – شرحاً وافياً وبينوا المراد منه ، يقول ابن الجزري : " و نعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ في البقرة (٦) بغير

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ .
وقد قرأ المدنيان وابن عامر " سارعوا ": بغير واو قبل السين ، وقرأ الباقون بالواو . النشر ٢ / ١٨٢ ، والإتحاف ٢٢٨ .

(٢) هو بغير واو في مصاحف المدينة والشام ، وبالواو في سائر المصاحف . المقنع ١٠٦ ، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي ٩٩ ، وشرح العقيلة الرائية لأبي شامة ١١١ .

(٣) آية : ٣٠ . وقد قرأ المدنيان وابن عامر " بما " بغير فاء قبل الباء ، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام ، وقرأ الباقون بالفاء ، وكذلك هي في مصاحفهم . النشر ٢ / ٢٧٥ ، وينظر : المقنع ١١٠ ، والمختصر في مرسوم المصحف الكريم ١١٣ ، وجميلة أرباب المراصد ٣٧٨.

(٤) سورة الأحقاف : ١٥.
وقد قرأ الكوفيون " إحساناً " بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها ، وكذلك هي في مصاحف الكوفة ، وقرأ الباقون بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا ألف ، وكذلك هي في مصاحفهم . النشر ٢ / ٢٧٩ . وينظر : المقنع ١١١ ، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف ١٤٠ ، وشرح العقيلة الرائية لأبي شامة . ١٥٠ .

(٥) التحرير والتنوير ١ / ٥٣ ، ٥٤ .

(٦) آية : ١١٦ .

واو(١)، و﴿ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ (٢) بزيادة الباء في الاسمين (٣)، ونحو ذلك، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي (٤)، وكقراءة ابن كثير { جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ }.

في الموضع الأخير من سورة براءة (٥) ، بزيادة " من " (٦) فإن ذلك ثابت في المصحف المكي (٧) ... إلى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن اختلفت المصاحف فيها فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم، فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه " (٨).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن اشتراط ابن الجزري وغيره من العلماء موافقة أحد المصاحف العثمانية مبني على كون عثمان ﷺ حين كتب المصاحف وبعث بها إلى الأمصار لم يجعلها متطابقة تماماً ، فهي وإن اتحدت من جهة خلوها من النقط والشكل ، فقد اختلفت من ناحية الحذف والإثبات ، فلكي تحظى القراءة بالصحة كان عليها أن

---

(١) ينظر : التيسير : ٦٥ ، والنشر ٢ / ١٦٥ ، والإتحاف ١٩٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٤ .

(٣) ينظر : النشر : ٢ / ١٨٤ ، والإتحاف : ٢٣٣ .

(٤) ينظر : المقنع : ١٠٦ ، وجميلة أرباب المراصد : ٢٧٤ .

(٥) وهو قوله تعالى : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﷺمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا }آية : ١٠٠ .

(٦) ينظر : التيسير ٩٧ ، والنشر ٢ / ٢١١ ، والإتحاف ٣٠٦ .

(٧) ينظر : المقنع : ١٠٨ ، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف : ١٠٧ ، وشرح العقيلة الرائية لأبي شامة : ١٢٤ .

(٨) النشر : ١ / ١٦ ، ١٧ بتصرف يسير .

توافق مجموع تلك المصاحف لا جميعها مادام الأمر لا يخرج عن رسم عثمان ومراده الذي أجمع الصحابة عليه (١).

وفي بيان أقسام موافقة الرسم وكيفية احتمال المصاحف العثمانية الاختلافات المتعددة في القراءات يقول – رَحِمَهُ اللَّهُ – (٢) " وقولنا بعد ذلك ولو احتمالاً : نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديراً ، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهو الموافقة الصريحة ، وقد تكون تقديراً ، وهو الموافقة احتمالاً ... وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً ، نحو {مَـالِكِ يَوْمِ الدِّين} (٣)، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف (٤)، فقراءة الحذف (٥)تحتمله تحقيقاً، كما كتب {مَلِكِ النَّاس} (٦)وقراءة الألف (٧)محتملة تقديراً ، كما كتب ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ (٨) ... وقد توافق اختلافات القراءات الرسم تحقيقاً، نحو ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ (٩)، و﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ (١٠)،

(١) ينظر : الرسم القرآني ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيحة للدكتور / توفيق بن أحمد العبقري : ٢٨ .
(٢) القائل : ابن الجزري .
(٣) سورة الفاتحة : ٤ .
(٤) ينظر : المقنع : ٨٧ ، وجميلة أرباب المراصد : ٢٥١ .
(٥) وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وأبي جعفر . النشر ١ / ٢١٣ ، والإتحاف: ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٦) سورة الناس : ٢ .
(٧) وهي للباقين : السابقان نفسهما .
(٨) سورة آل عمران : ٢٦ .
(٩) سورة الصف : ١٤ .
(١٠) سورة آل عمران : ٣٩ .

و﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (١)، و﴿يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، و﴿هَيْتَ لَكَ﴾ (٣)، ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة ﷺ " (٤).

ثم يقرر ابن عاشور انحصار توفر الشروط المذكورة في قراءات الأئمة العشرة وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وأبو جعفر وخلف العاشر ، وينبه على أن كل ما خرج عن قراءات هؤلاء الأئمة شاذ عند الجمهور، لأنه لم ينقل بتواتر حفاظ القرآن ، ويحكى عن بعض العلماء أن ما دون العشر لا تجوز القراءة به ، ولا أَخْذُ حكم منه لمخالفته المصحف الذي كتب فيه ما تواتر ، فكان ما خالفه غير متواتر فلا يكون قرآناً (٥).

وتحت عنوان : " مراتب القراءات الصحيحة والترجيح بينهما " حكى عن أبي بكر بن العربي في كتاب العواصم اتفاق الأئمة على أن القراءات التي لا تخالف الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان متواترة وإن اختلفت في وجوه الأداء وكيفيات النطق(٦) ، ثم علق على ذلك بقوله " ومعنى ذلك أن تواترها تبع لتواتر صورة كتابة المصحف " وقرر خروج ما كان من القراءات مخالفاً لمصحف عثمان، مثل ما نقل من قراءة ابن مسعود(٧).

وإذا سلمنا بما حكاه هنا من اتفاق الأئمة على تواتر القراءات التي لا تخالف

---

(١) سورة البقرة : ٥٨ .

(٢) سورة البقرة : ٧٤ و ٨٥ .

(٣) سورة يوسف : ٢٣ .

(٤) النشر ١ / ١٧ بتصرف يسير، وينظر : الرسم العثماني ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيحة : ٢٨ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١ / ٥٤ .

(٦) ينظر : العواصم من القواصم ١ / ٨٢ .

(٧) السابق : ٦٠ .

الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان وإن اختلفت وجوه أدائها وتعددت كيفيات نطقها بشرط صحتها وثبوت نقلها فإننا لا نوافقه على تفسيره ذلك بأن تواتر تلك القراءات تبع لتواتر صورة كتابة المصحف؛ لأنه قد يفهم من هذا أن الرسم أصل في القراءة وأن القراءة تؤخذ منه، وهذه شبهة باطلة قام علماؤنا بدحضها والرد عليها (١)، فالأصل في القراءة التلقي والمشافهة ثم موافقة الرسم مما صح نقله من قراءات ، فإن لم تتحقق الموافقة فيما يرويه القارئ من قراءات ثبت على روايته وإن خالفت الرسم ، وليس أدل على ذلك من قراءات بعض الأحرف عند بعض الأئمة بما يخالف صريح رسمها في كل المصاحف العثمانية مثل ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (٢)حيث وقع في القرآن الكريم معرفاً أو منكراً ، و﴿أُقِنَّتَ﴾ (٣)و﴿بِضَنِينٍ﴾(٤)، وغير ذلك مما يدل على أن الأصل في القراءة إنما هو التلقي والمشافهة وصحة النقل وليس الرسم ، وهو ما قرره ابن عاشور وأكد عليه في كثير من المواضع في تفسيره، وبيان ذلك فيما يلي بعون الله تعالى .

---

(١) ينظر على سبيل المثال : مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقاني ١ / ٤١٢ وما بعدها ، ورسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور / غانم قدوري الحمد : ٦٠٧ وما بعدها .

(٢) سورة الفاتحة : ٦ .
وقد اتفقت المصاحف العثمانية على رسم هذا اللفظ بالصاد في جميع مواضعه في القرآن الكريم ، ومع ذلك اختلف القراء في قراءته بين السين والصاد وإشمام الصاد صوت الزاي . ينظر : المقنع ٩٥ ، والوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي : ١٢١ ، والنشر ١ / ٢١٣ ، ٢١٤ ، والإتحاف : ١٦٣ .

(٣) سورة المرسلات : ١١ .
وقد كتب هذا اللفظ بالألف قبل القاف في جميع المصاحف ، ومع ذلك اختلف القراء فى قراءته بين الواو والهمزة ، ينظر : المصاحف لابن أبي داود : ١١٦ ، والنشر ٢ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، والإتحاف : ٥٦٧ ، وسمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ الضباع : ١٠٠ .

(٤) سورة التكوير : ٢٤ .
وقد كتب هذا اللفظ في كل المصاحف بالضاد ، ومع ذلك اختلف القراء في قراءته بين الضاد والظاء ينظر : المقنع ٩٥ ، ٩٦ ، والنشر : ٢ / ٢٩٨ ، والإتحاف : ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

المبحث الثاني

الأصل في القراءة النقل والرواية وليس الرسم

إذا كان الأمر قد استقر على أن رسم المصحف ركن من أركان القراءة الصحيحة ، وأنه لابد من تحقق موافقة الرسم في كل قراءة صحيحة متواترة ، فإن الأساس الأهم والمعوّلَ عليه الأول في أمر القراءة إنما هو التلقي والمشافهة والنقل الصحيح ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام إلى النبي ﷺ، فالمصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب ، وإنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتاب ربهم في حدود ما تحتمله وتدل عليه من قراءات ثبتت صحتها وتواتر نقلها .

وقد أكد ابن عاشور في كثير من المواضع في تفسيره على هذا الأساس الأصيل ، ونبه على أهميته في أمر القراءة ، وقرر أن القراءة لن تقبل بدونه حتى ولو وافقت الرسم والعربية ، قال رحمه الله : " وأما صحة السند الذي تُروى به القراءة لتكون مقبولة فهو شرط لا محيد عنه، إذ قد تكون القراءة موافقة لرسم المصحف وموافقة لوجوه العربية ، لكنها لا تكون مروية بسند صحيح، كما ذكر في المزهر (١)، أن حماد بن الزبرقان (٢) قرأ " إلا عن موعدة وعدها أباه " بالباء الموحدة ، وإنما هي " إياه " بتحتية ، وقرأ " بل الذين كفروا في غرة " بغين معجمة وراء مهملة، وإنما هي " عزة " بعين مهملة وزاي ، وقرأ " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه " بعين مهملة ، وإنما هي " يغنيه " بغين معجمة، ذلك أنه لم يقرأ القرآن على أحد وإنما حفظه من المصحف (٣).

---

(١) ٢ / ٣١٦ .

(٢) حماد بن الزبرقان الكوفي ، شاعر وخطيب ، كان يتهم بالزندقة ، عاش فى عصر واحد مع حماد الرواية ، وتوفى الأخير سنة خمس وخمسين ومائة من الهجرة . ينظر : طبقات الشعراء لابن المعتز : ١ / ١٦ ، والأعلام للزركلي ٢ / ٢٧١ .

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٦٠ .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن ابن عاشور قد عبر في كلامه المذكور بصحة السند ، لأنه في سياق الحديث عن الضوابط التي وضعها العلماء لقبول القراءة والتي نصوا فيها على صحة السند ، وإلا فإنه قد نبه في غير هذا الموضع على أن الروايات التي تروي بأسانيد صحيحة لكنها لم تتواتر لا تجوز القراءة بها لعدم تواترها ، إذ لا يترك المتواتر للآحاد ، وأن الراوي إذا بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ما رواه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بهذه الرواية المتواترة (١).

أقول : ولا شك أن هذه المسألة من أهم المسائل المتعلقة بالقراءات القرآنية ، فقد أجمع المسلمون منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا على أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، ولا يكون نقلها إلا عن طريق التلقي والمشافهة والأخذ بالسماع، ومن ثم كان اعتماد الصحبة رضوان الله عليهم في حفظ القرآن على التلقي والسماع من النبي ﷺ، أو ممن سمعه من النبي من الصحابة ، وليس على المكتوب في الصحف والمصاحف، وعلى هذه الحال من الاعتماد في نقل القرآن الكريم على التلقي عرضاً وسماعاً تربى التابعون وتابعوهم ، فكان كل واحد يحفظ القرآن الكريم على طريقة شيخه ويلتزم تماماً بما تلقاه في قراءته أو إقراء غيره، وظل الأمر كذلك إلى يومنا هذا .

وقد قرر ابن عاشور هذا الأصل وأكد عليه في كثير من المواضع في تفسيره، ومن ذلك قوله في سياق رده على طعن الزمخشري في قراءة ابن عامر : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ (٢) ببناء " زين " للمفعول ، ورفع " قتل " ونصب " أولاد " وخفض " شركاء " (٣): " إن القراءات ليست اختيارات وأقيسة من

(١) ينظر السابق : ١ / ٥٤ .
(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .
(٣) ينظر : النشر ٢ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، والإتحاف : ٢٧٤ .

القراء ، وإنما هي روايات صحيحة متواترة " (١).

وقولـــه في ســـياق حديثه عن القراءات الواردة في كلمة ﴿ لُؤْلُؤًا ﴾ في سورة الحج (٢)

" وهي مكتوبة في المصحف بألف بعد الواو الثانية في هذه السورة (٣)، فكانت قراءة جر " لؤلؤ " مخالفة لمكتوب المصحف، والقراءة نقل ورواية ، فليس اتباع الخط واجباً على من يروي بما يخالفه ، وكتب نظيره في سورة فاطر (٤) بدون ألف (٥) ، والذين قرأوه بالنصب خالفوا أيضاً خط المصحف واعتمدوا روايتهم " (٦)

وذكره في سياق حديثه عن رسم لفظ ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ (٧) أن اعتماد المسلمين في ألفاظ القرآن على الحفظ لا على الكتابة وأن المصاحب ما كتبت حتى قرئ القرآن نيّفاً وعشرين سنة (٨).

كذلك تعليقه على قراءة الظاء في لفظ " بظنين " (٩) بقوله : " ولا شك أن

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٨ / ١٠٣ .

(٢) آية ٢٣ ، وقد قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بالنصب في موضعي الحج وفاطر ، ووافقهم يعقوب في موضـــع الحج فقط ، وقرأ الباقون بالجر في الموضعين . الروضة في القراءات الإحدى عشرة للمالكي ٢ / ٧٩٧ ، والنشر ٢ / ٢٤٤ ، والإتحاف ٣٩٧ .

(٣) ينظر : المقنع ٤٧ ، والوسيلة : ٢٢٩ .

(٤) آية : ٣٣ .

(٥) ينظر : المقنع : ٤٨ ، والوسيلة : ٢٣٠ .

(٦) التحرير والتنوير : ١٧ / ٢٣٢ .

(٧) سورة النمل : ٢١ .

(٨) التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٨ .

(٩) سورة التكوير : ٢٤ ، وقد سبق بيان القراءات فى هذا الحرف .

الذين قرأوه بالظاء المشالة من أهل القراءات المتواترة ، وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب قد رووه متواتراً عن النبي ﷺ ، ولذلك فلا يقدح في قراءتهم كونها مخالفة لجميع نسخ مصاحف الأمصار، لأن تواتر القراءة أقوى من تواتر الخط إن اعتبر للخط تواتر " (١) .

وتنبيهه على أن كلمة ﴿دِينُ﴾ (٢) قد كتبت في المصحب بدون ياء (٣) اعتماداً على حفظ الحفاظ ، وأن الذي يثبت الياء مثل يعقوب يشبع الكسرة، إذ ليست الياء إلا مدة للكسرة، فعدم رسمها في الخط لا يقتضي إسقاطها في اللفظ (٤) .

ومن ذلك أيضاً إشارته إلى مخالفة بعض القراء أو الرواة مصاحف بلدانهم في القراءة ، فقد ذكر أن نافعاً وابن عامر وحفصاً عن عاصم وأبا جعفر قرأوا ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ (٥) بهاء ضمير ، وأنه مرسوم كذلك في مصحف المدينة ومصحف الشام ، وأن الباقين قرأوا (ما تشتهي) بحذف هاء الضمير ، وأنه مرسوم كذلك في مصحف مكة ومصحف البصرة ومصحف الكوفة (٦)، ثم قال : والمروي عن عاصم " قارئ الكوفة " روايتان : إحداهما أخذ بها حفص ، والأخرى أخذ بها أبو بكر(٧)، إشارة إلى

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ١٦١ .

(٢) سورة الكافرون : ٦ .

وقد أثبت ياءها يعقوب فى الحالين ، وحذفها الباقون فيهما . النشر ٢ / ٣٠٢ ، والإتحاف : ٦٠٤ .

(٣) ينظر : المقنع : ٤٠، وجميلة أرباب المراصد : ٥٢٣، والرحيق المختوم بنثر اللؤلؤ المنظوم : ٤٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٨٣ .

(٥) سورة الزخرف : ٧١ .

(٦) ينظر : المقنع : ١١١ ،والوسيلة : ٢٠٧ ، وإبراز المعاني : ٦٨١ ، والنشر : ٢ / ٢٧٦ ، والإتحاف : ٤٩٧ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٥٦ .

التمسك بما ثبتت روايته وإن خالف مصحف البلد الذي ينتسب إليه القارئ أو الراوي ، وبيان ذلك: أن حفصاً وهو كوفي قرأ الحرف المذكور بإثبات الهاء بعد الياء ، مع أنه مرسوم في المصحف الكوفي بحذفها ، فيكون بذلك مخالفاً لمصحف بلده، في حين أن أبا بكر شعبة ، وهو كوفي أيضاً قد جاءت روايته عن عاصم في هذا الحرف بما يوافق رسم المصحف الكوفي، فقرأه بحذف الهاء ، وبذلك يكون الإمام عاصم مخالفاً لمصحف بلده من طريق حفص، وموافقاً له من طريق شعبة، وهذا من آكد الأدلة على تمسك هؤلاء الأئمة بالنقل والتزامهم بما تلقوه من قراءات صحيحة وافقت رسم مصاحف بلدانهم أو خالفتها

هذا ، وقد تنوعت عبارات ابن عاشور في تقريره هذا الأصل وتأكيده على أن الاعتماد في القراءة إنما هو على التلقي والمشافهة وصحة النقل ، وأن الرواية مقدمة على رسم المصحف، نذكر من ذلك قوله في مواضع أخرى : " ... فإن حفظ القرآن في صدور القراء أقدم من كتابته في المصاحف ، وما كتب في أصول المصاحف إلا من حفظ الكاتبين ، وما كتب المصحف الإمام إلا من مجموع محفوظ الحفاظ وما كتبه كتاب الوحي في مدة نزول الوحي "(١) ، و" والقراءة رواية متواترة وإن كانت مخالفة لرسم المصاحف " (٢)، " ... القرآن متلقى بالتواتر لا بهجاء المصاحف ، وإنما المصاحف معينة على حفظه " (٣)" المعتبر في قراءة القرآن الرواية دون الكتابة ، وإنما يكتب القرآن للإعانة على مراجعته " (٤)، " والقراءات رواية متواترة لدينا لا يناكدها رسم المصحف " (٥)، " والقراءات تعتمد على الرواية بالسمع لا رسم المصحف ، إذ

(١) السابق : ١٦ / ٢٥٢ .
(٢) السابق : ٢٨/ ٢٥٤ .
(٣) السابق نفسه .
(٤) السابق : ٢٩ / ٤١ .
(٥) السابق : ٢٩ / ٣٩٣ .

المقصود من كتابة المصاحف أن يتذكر بها الحفاظ ما عسى أن ينسَوْه " (١)، " والقراءات روايات وليس خط المصحف إلا كالتذكرة للقارئ " (٢).

ومن ثم يتضح لنا اهتمام العلامة ابن عاشور بتقرير هذا الأساس والتأكيد عليه في كثير من المواضع التي عرض فيها لمسائل القراءات في تفسيره .

(١) السابق : ٣٠ / ٣٢٠ .

(٢) السابق : ٣٠ / ٥٥٦ .

وللمزيد ينظر أيضاً : ٢٠ / ٢٤٠ و ٢٥ / ٢٢٧ و ٢٩ / ٣٧٩ من المصدر نفسه .

المبحث الثالث

الرد على ادعاء وقوع الخطأ في كتابة المصحف

إن الناظر في تاريخ القرآن الكريم يرى أنه منذ نزوله على سيدنا رسول الله ﷺ وهو هدف أول لأعداء الإسلام الذين يحاولون النيل منه والتشكيك فيه، ويثيرون حوله الشبهه الباطلة التي تنبئ عن حقد دفين على هذه الرسالة الغراء وعلى صاحبها صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الشبه التي أثيرت حول القرآن الكريم ادعاء وقوع الخطأ في بعض المواضع في كتابته .

ومن العجيب أن بعض علمائنا قد تبع هؤلاء المغرضين في هذه المسألة ، وأشار إلى وقوع الخطأ من الصحابة الكرام في كتابة المصحف أو صرح بذلك، كالفراء (١) وابن قتيبة (٢) وابن خلدون (٣) ، ونسوا أو تناسوا أن هذه الكتابة كانت بإملاء وإرشاد من النبي ﷺ ، وأن الأمة قد أجمعت على هذا الرسم واشترطت موافقته في قبول القراء .

وقد أورد ابن عاشور ــ رحمه الله ــ هذه الشبهة ورد عليها ونبه على عدم الالتفات إليها في أكثر من موضع في تفسيره، ومن ذلك ما ذكره في سياق حديثه عن نصب " الصابرين " من قوله تعالى : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (٤) من أن النصب فيها على الاختصاص على ما هو المتعارف في كلام العرب في عطف النعوت من تخيير المتكلم بين الإتباع في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع ، ثم ذكر أنه قد حصل بنصب " الصابرين " هنا فائدتان : إحداهما عامة في كل قطع من النعوت ، أنه إذا

---

(١) في معاني القرآن له ١ / ٤٣٩ .

(٢) في تأويل مشكل القرآن ٥٦ ــ ٥٨ .

(٣) في المقدمة : ١ / ٧٥٧ .

(٤) سورة البقرة : ١٧٧ .

ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف إعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها وحكي قول سيبويه في باب ما ينتصب على التعظيم والمدح : " وإن شئتَ جعلته صفة فجرى على الأول ، وإن شئت قطعته فابتدأته ، ونظير هذا النصب قول الخِرْنِق [١] :

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُوا سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ والطّيبونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ [٢]

بنصب النازلين ... " [٣] ، ثم قال : يؤيد هذا الوجه أنه تكرر مثله في نظائر هذه الآية في سورة النساء [٤] ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطفاً على ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ، وفي سورة العقود [٥] ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عطفاً على ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ .

الفائدة الثانية : أن في نصب " الصابرين " بتقدير أخص أو أمدح تنبيهاً على خصيصة الصابرين ومزية صفتهم التي هي الصبر ، ثم حكى قول الزمخشري في الكشاف [٦] : " ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان " وعقب بأن تكرره وتقارب الكلمات يربأ به على أن يكون خطأً أو سهواً وهو بين

---

(١) الخرنق بنت بدر بن هافان بن مالك ، من بني ضبيعة ، البكرية العدنانية ، شاعرة جاهلية ، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه ، توفيت نحو سنة ٥٠ ق هـ . الأعلام ٢ / ٣٠٣ .

(٢) البيتان في الكتاب لسيبويه ١ / ٢٠٢ و ٢ / ٦٤ ، ٥٧ ، ولسان العرب (ن ض ر) ، وأوضح المسالك ٣ / ٣١٤ .

(٣) ينظر : الكتاب لسيبويه ٢ / ٦٢ ــ ٦٤ .

(٤) آية : ١٦٢ .

(٥) آية : ٦٩ .

(٦) ١ / ٥٧٧ .

كلمتين مخالفتين إعرابه .

ثم قال : " وعن بعض المتأولين أن نصب " والصابرين " وقع خطأ من كتاب المصاحف وأنه مما أراده عثمان ﷺ فيما نُقِل عنه أنه قال بعد أن قرأ المصحف الذي كتبوه : (إني أجد به لحناً ستقيمه العرب بألسنتها) ، وهذا مُتَقَوَّل على عثمان ، ولو صح لكان يريد باللحن ما في رسم المصاحف من إشارات مثل كتابة الألف في صورة الياء إشارة إلى الإمالة ، ولم يكن اللحن يطلق على الخطأ " (١).

وفي حديثه عن نصب ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ من قوله تعالى : ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (٢)، أورد نحو هذا الرد ، وحكى ما روي عن عائشة وأبان بن عثمان أن نصب " المقيمين " خطأ من كاتب المصحف ، وأن عائشة وعبد الله بن مسعود وأبي وغيرهم قرأوها " والمقيمون " بالرفع ، ثم قال : " ولا تردّ قراءة الجمهور المجمع عليها بقراءة شاذة ، ومن الناس من زعم أن نصب " المقيمين " ونحوه هو مظهر تأويل قول عثمان لكتاب المصاحف : أحسنتم وأجملتم وأرى لحناً قليلاً ستقيمه العرب بألسنتها ، وهذه أوهام وأخبار لم تصح عن الذين نسبت إليهم ، ومن البعيد جداً أن يخطئ كاتب المصحف في كلمة بين أخواتها فيفردها بالخطأ دون سابقتها أو تابعتها ، وأبعد منه أن يجيء الخطأ في طائفة متماثلة من الكلمات ، وهي التي إعرابها بالحروف النائبة عن حركات الإعراب ، ولا أحسب ما روي عن عائشة وأبان بن عثمان في ذلك صحيحاً ، قال صاحب الكشاف : وهم كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمه ليسدّها من بعدهم وخَرْقاً يّرْفوه من يلحق بهم " (٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٢ / ١٣٢ ــ ١٣٤ بتصرف ، وينظر أيضاً في الرد على هذه الشبهة مناهل العرفان ١ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ورسم المصحف ونقطه للدكتور / عبد الحي الفرماوي : ٤٤٠ وما بعدها ، والمتحف في رسم المصحف لأستاذنا الدكتور / عبد الكريم صالح ١١٦ ــ ١١٨ .

(٢) سورة النساء : ١٦٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٦/ ٢٩ ، ٣٠ بتصرف يسير ، وينظر : الكشاف للزمخشري : ١ / ٥٧٧ . وينظر =

وكذلك في سياق حديثه عن قراءة أبي عمرو ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ (١) بتشديد نون " إن " وبالياء بعد ذال " هذين " (٢)، حكى عن القرطبي أنها مخالفة للمصحف (٣)، ثم عقب بأن ذلك لا يطعن فيها لصحة روايتها وموافقتها وجهاً مقبولاً في العربية ، وبأن نزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متحدة المقصود ، ثم قال : " فلا التفات إلى ما روى من ادعاء أن كتابة " إن هذان " خطأ من كاتب المصحف ، وروايتهم ذلك عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه ، وعن عروة بن الزبير عن عائشة ، وليس في ذلك سند صحيح ، حسبوا أن المسلمين أخذوا قراءة القرآن من المصاحف وهذا تغفّل ، فإن المصحف ما كتب إلا بعد أن قرأ المسلمون القرآن نيفاً وعشرين سنة في أقطار الإسلام ، وما كتبت المصاحف إلا من حفظ الحفاظ ، وما أخذ المسلمون القرآن إلا من أفواه حُفّاظه قبل أن تكتب المصاحف وبعد ذلك إلى اليوم ، فلو كان في بعضها خطأ في الخط لما تبعه القراء ، ولكان بمنزلة ما تُرك من الألفات في كلمات كثيرة ، وبمنزلة كتابة ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا بالواو في موضع الألف ، وما قرأوها إلا بألفاظها " (٤).

وهكذا اعتمد ابن عاشور في دفع ذلك الادعاء الباطل على نصوص قاطعة وأدلة

= أيضاً في الرد على هذه الشبهة : مناهل العرفان : ١ / ٣٨٨ ، ورسم المصحف ونقطه : ٤٦٤ ، والمتحف في رسم المصحف : ١١٨ ، ١١٩ .

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) ينظر : المستنير : ٢ / ٢٩٠ ، والنشر : ٢ / ٢٤٠ ، والإتحاف : ٣٨٤ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٨٩ ، قلت : وهي ليست مخالفة لرسم المصحف بل توافقه تقديراً .

(٤) التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٥٤ .
وينظر أيضاً في الرد على هذه الشبهة : مناهل العرفان : ١ / ٣٩٣ ــ ٣٩٥ ، ورسم المصحف ونقطه ٤٦٢ ــ ٤٦٧ ، والمتحف في رسم المصحف : ١٢٩ ، ١٣٠ .

ناصعة ومتنوعة من القرآن الكريم والشعر وغير ذلك ، واستعان بأقوال من تقدمه من العلماء الذين ردوا هذا الادعاء ورفضوا فكرة خطأ الصحابة الكرام الكتبة منهم في كتابة المصحف ، وأكدوا على علو مكانتهم في العلم والفصاحة .

المبحث الرابع

الحث على عدم مخالفة الرسم لكونه سنة متبعة

هذه مسألة من مسائل الرسم التي اختلفت فيها آراء العلماء ، فقد ذهب الجمهور إلى أن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته ولا مجال للعقل فيه ، وليس لاجتهادات الصحابة أو غيرهم دخل فيه ، فقد كان للنبي ﷺ كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن فعلاً بهذا الرسم وأقرهم الرسول ﷺ على كتابته ، ومضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتْبة ، لم يحدث فيه تغيير و تبديل ، ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم في الصحف ، ثم حذا حذوه عثمان في خلافته فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة ، وأقر أصحاب النبي ﷺ عمل أبي بكر وعثمان ﷺ أجمعين ــ وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم .

ويرى البعض أن هذا الرسم اصطلاح من الكتبة الذين كتبوا القرآن في جمع عثمان ﷺ وعليه فتجوز مخالفته ؛ لأن الكتابة لم يفرض الله فيها شيئاً على الأمة ، ولا أوجب على كتاب القرآن رسماً بعينه دون غيره ، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن لا يجوز إلا على وجه مخصوص ، ولا في نصوص السنة ولا في إجماع الأمة ولا فيما دلت عليه القياسات الشرعية ما يوجب ذلك (١).

وبالنظر فيما أورده ابن عاشور في تفسيره بخصوص هذه المسألة وجدناه دائماً ينبه على أن الرسم سنة متبعة ، ويؤكد على توقيفيته ، ويحث على متابعته وعدم مخالفته .

ففي سياق حديثه عن الحروف المقطعة في فواتح السور ذكر أن هذه الحروف كتبت في المصاحف بصور الحروف التي يتهجى بها في الكلام التي يقوم رسم شكلها مقام

(١) تنظر هذه المسألة بالتفصيل في مناهل العرفان : ١ / ٣٧٧ ــ ٣٨٦ ، ورسم المصحف ونقطه : ٣٤٥ ــ ٣٧٣ ، ورسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة : ٦٣ ــ ٧٩ .

المنطوق به في الكلام ولم تكتب بدوالّ ما يقرأونها به في القرآن ، لأن المقصود التهجي بها ، وحروف التهجي تكتب بصورها لا بأسمائها ، وقيل : لأن رسم المصحف سنة لا يقاس عليه، ثم رجح هذا الرأي الأخير بقوله : " وهذا أولى لأنه أشمل للأقوال"(١).

وفى قراءة " يَقْضِ الْحَقَّ " (٢)بسكون القاف وبضاد معجمة مكسورة(٣) نبه على أنه ينبغي أن لا يوقف على هذا الحرف في القراءة المذكورة لئلا يضطر الواقف إلى إظهار الياء فيخالف الرسم المصحفي (٤).

وفى قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾(٥)، ذكر أن " مال هذا " قد كتبت لامها منفصلة عن اسم الإشارة الذي بعدها في المصحف الإمام فاتبعته المصاحف ، لأن رسم المصحف سنة فيه (٦).

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾(٧)، قال : "

---

(١) التحرير والتنوير : ١ / ٢٠٦ ، وفيه أن هذه الفواتح حين ينطق بها القارئ أسماء لحروف التهجي التي يُنَطق فى الكلام بمسمياتها ، وأن مسمياتها الأصوات المكيفة بكيفيات خاصة تحصل في مخارج الحروف ، ولذلك إنما يقول القارئ " ألف لام ميم " مثلاً ولا يقول " ألم " .

(٢) سورة الأنعام : ٥٧ .

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر ، وقرا الباقون بضم القاف وبالصاد مهملة مشددة ، ووقف عليها يعقوب بالياء . النشر : ٢ / ١٩٤ ، والإتحاف : ٢٦٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧ / ٢٦٨ ، وينظر : الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصاحف ٥٠ ، وشرح شعلة على الشاطبية : ٢٢٤ ، والإتحاف : ٢٦٤ .

(٥) سورة الفرقان : ٧ .

(٦) التحرير والتنوير : ١٨ / ٣٢٨ ، وينظر : الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف : ٩٠ ، وشرح شعلة على الشاطبية : ٢٢٤ ، والإتحاف : ١٤٢ .

(٧) سورة الروم : ١٦ .

وكتب في رسم المصحف " ولقائ" بهمزة على ياء تحتية للتنبيه على أن الهمزة مكسورة ، وذلك من الرسم التوقيفي " (١).

وفي سياق حديثه عن قوله تعالى : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ (٢) يقول : " وقد كُتب في المصحف (إلفهم) بدون ياء بعد الهمزة ، وأما الألف المدة التي بعد اللام التي هي عين الكلمة فلم تكتب في الكلمتين في المصحف على عادة أكثر المدات مثلها ... ورسم المصحف سنة متبعة سنّها الصحابة الذين عُيّنوا لنسخ المصاحف " (٣).

هذا ، وقد نبه ابن عاشور ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ في مواضع كثيرة من تفسيره على مخالفة بعض الحروف للقياس في رسمها وجريها على ما يقتضيه اصطلاح الرسم تأكيداً لما قرره وأكد عليه من أن الرسم سنة متبعة لا تجوز مخالفته ، ومن ذلك قوله في وصل

" إنما " من قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٤) " وكتب في المصاحف (إنما) متصلة وهو على غير قياس الرسم المصطلح عليه من بعد ؛ لأنهما كلمتان لم تصيرا كلمة واحدة ، بخلاف (إنما) التي هي للقصر " (٥)، وقوله في حذف ياء " الجوار " من قوله تعالى : ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ (٦): " وكتب في المصحف الإمام (الجوار)

---

(١) التحرير والتنوير : ٢١ / ٦٤ ، وينظر : المختصر في مرسوم المصحف الكريم : ٨٥ ، ولطائف الإشارات : ١ / ٣٠١ .

(٢) سورة قريش : ١ ، ٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٥٦ بتصرف يسير ، وينظر الهجاء في رسم المصحف : ٢٤٩ ، والمختصر في مرسوم المصحف الكريم : ١١٠ . وللمزيد من الأمثلة . ينظر : ١٠ / ٢٠١ و ١٣ / ٩٦ و ٤٢٣/٢٩ من المصدر نفسه .

(٤) سورة الذاريات : ٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٣٤٠ .

(٦) سورة الرحمن : ٢٤ .

براء في آخره دون ياء ، وقياس رسمه أن يكون بياء في آخره ، فكتب بدون ياء اعتداداً بحالة النطق به في الوصل " (١)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردها ابن عاشور وأوضح فيها أن بعض الحروف قد خالفت القياس في رسمها وجرت على ما يقتضيه اصطلاح الرسم ، مما يدل على أن رسم المصحف سنة متبعة لا تجوز مخالفته .

(١) التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٥١ .
وللمزيد من الأمثلة ينظر : ١٧٥/٤ ، ١٧٦ و ١٠ / ٢٠١ و ١٢/ ١٧٣ و ١٨/ ٧٥ و ١٩ / ٢٥٥ ، و ٢٠ / ٢٣٦ و ٢١ / ٦٤ و ٢٣ / ١١٨ ، ٢٠٧ و ٢٥ / ٢٢٧ و ٢٦ / ٣٣٢ و ٢٩ / ٤٢٣ و ٧/٣٠ من المصدر نفسه .

المبحث الخامس

الاحتجاج للقراءة بموافقتها الرسم

سبق بيان أن موافقة القراءة رسم المصحف أحد الضوابط التي وضعها العلماء لقبول القراءة والحكم بصحتها ، ونريد هنا أن نبين أن هذا الجانب من أبرز الجوانب التي اهتم بها ابن عاشور ــ رحمه الله ــ في حديثه عن القراءات القرآنية والاحتجاج لها في تفسيره ، فقد رأيناه في مواضع كثيرة يسوق القراءات منسوبة لمن قرأ بها ويذكر توجيهها ثم ينص على موافقتها رسم المصحف احتجاجاً لها وتأكيداً على صحتها .

وكان من منهجه في هذا الجانب أنه ينص على موافقة كل قراءة من القراءات الواردة في الحرف القرآني للرسم ، ومن ذلك قوله : " وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (مَنْ يَرْتَدِدْ) (١) بدالين على فك الإدغام ، وهو أحد وجهين في مثله ، وهو لغة أهل الحجاز ، وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام ، وقرأ الباقون بدال واحدة مشددة بالإدغام ، وهو لغة تميم ، وبفتح الدال فتحة تخلص من التقاء الساكنين لخفة الفتح ، وكذلك هو مرسوم في مصحف مكة ومصحف الكوفة ومصحف البصرة " (٢)، وقوله: "وقرأ الجمهور ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ (٣) بالياء مجروراً صفة لـ (ربك) ، وهو كذلك مرسوم في غير المصحف الشامي ، وقرأه ابن عامر (ذو الجلال) صفة لـ (اسم) كما قوله : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (٤)، وكذلك هو مرسوم في

---

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) التحرير والتنوير: ٦ / ٢٣٥، وينظر: الكشف: ١ / ٤١٣ ، والمنقع : ١٠٧ ، والنشر ٢ / ١٩١، والإتحاف : ٢٥٤ .

(٣) سورة الرحمن : ٧٨ .

(٤) سورة الرحمن : ٢٧ .

مصحف أهل الشام " (١).

وقد يكتفي بذكر موافقة إحدى القراءات لرسم بعض المصاحف ، ويفهم من ذلك أن القراءة الأخرى موافقة لرسم بقية المصاحف ، كما فعل في قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ (٢) حيث قال: " وقد قرئ بالواو " (وقالوا) على أنه معطوف على قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾(٣)، وهي قراءة الجمهور ، وقرأه ابن عامر بدون واو عطف ، وكذلك ثبتت الآية في المصحف الإمام الموجه إلى الشام " (٤)، وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ (٥)حيث قال : " وقرأ الجمهور (أنجيناكم) بنون المتكلم ، وقرأه ابن عامر ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُمْ﴾على إعادة الضمير إلى الله في قوله : ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾(٦)، وكذلك هو مرسوم في مصحف الشام " (٧).

ثم هو قد يشير إلى تقوية القراءة لموافقتها رسم المصحف ، ومن ذلك ذكره أن لفظ ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾(٨) قد كتب بألف بعد اللام الثانية فى جميع المصاحف ، وقد قرأه نافع

(١) التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٧٧ ، وينظر: حجة ابن خالويه" ، والمقنع: ١١٢ ، والنشر: ٢ /٢٨٦ والإتحاف : ٥٢٨ .

(٢) سورة البقرة : ١١٦ .

(٣) سورة البقرة : ١١٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٦٨٣ ، وينظر : حجة أبي على : ١ / ٣٦٩ ، ٣٧٠، والمقنع : ١٠٦ ، والنشر : ٢ / ١٦٥ ، والإتحاف : ١٩٠ .

(٥) سورة الأعراف : ١٤١ .

(٦) سورة الأعراف : ١٤٠ .

(٧) التحرير والتنوير : ٩/ ٨٥ ، وينظر : المقنع : ١٠٨ ، والموضح لابن أبي مريم : ٢/ ٥٥٢ ، والنشر : ٢٠٤/٢ ، الإتحاف : ٢٨٩ .

(٨) سورة الإنسان : ٤ .

والكسائي وهشام وشعبة وأبو جعفر بالتنوين وصلاً ووقفوا عليه بالألف بدل التنوين ، ثم تعقيبه على هذه القراءة بقوله : " وهذه القراءة متينة يعضدها رسم المصحف " (١)، وليس معنى ذلك تضعيف القراءة الأخرى إذا كانت متواترة ، فإنها توافق الرسم ولو تقديراً .

وقد ينبه في هذا الجانب أيضاً على موافقة القراء مصاحف بلدانهم ، كقوله في قراءة ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (٢)بزيادة " من " وجر " تحت " : " وثبتت (من) في مصحف مكة ، وهي قراءة ابن كثير المكي " (٣)، وقوله في قراءة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ (٤): " قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (فلا يخاف عقباها) بفاء العطف ، وهو مكتوب بالفاء في مصاحف المدينة ومصحف الشام ، وقرا الباقون من العشرة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ بواو العطف أو الحال ، وهي كذلك في مصاحف أهل مكة وأهل البصرة والكوفة ، وهي رواية قرائها " (٥).

وفى سبيل توضيح كيفية موافقة بعض القراءات للرسم في المواضع التي تحتاج إلى

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣٧٨ .
قلت : وقراءة هشام بالخلاف ، ووافقهم أيضاً رويس بخلفه ، وقرأ الباقون بحذف التنوين وصلاً وهو الوجه الثاني لهشام ورويس وهم فى الوقف على ثلاث فرق ، فمنهم من وقف بالألف بلا خلاف وهو أبو عمرو ، ومنهم من وقف بغير ألف بلا خلاف وهما حمزة وخلف العاشر ، ومنهم من وقف بالوجهين ، وهم ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب . ينظر : النشر ٢ / ٢٩٥ ، والإتحاف : ٥٦٥ ، والميسر : ٥٧٨ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١١/ ١٩ ، وينظر : المقنع : ١٠٨ ، والنشر : ٢ / ٢١١ ، والإتحاف : ٣٠٦ .

(٤) سورة الشمس : ١٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٧٦ بتصرف يسير ، وينظر : المقنع ١١٢ ، والمبهج : ٣ / ٤٢٧ ، والنشر : ٢ / ٣٠٠ ، والإتحاف : ٥٨٦ .

ذلك رأيناه يوجه تلك القراءات من جهة موافقة الرسم ويبين كيف تتحقق فيها هذه الموافقة كما فعل في سياق حديثه عن القراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [١] حيث قال : " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر ويعقوب (ليسوءوا) بضمير الجمع مثل أخواته .... وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر عن عاصم وخلف (ليسوءَ) بالإفراد والضمير لله تعالى ، وقرأ الكسائي (لنسوء) بنون العظمة ، وتوجيه هاتين القراءتين من جهة موافقة رسم المصحف أن الهمزة المفتوحة بعد الواو قد ترسم بصورة ألف ، فالرسم يسمح بقراءة واو الجماعة على أن يكون الألف ألف الفرق [٢]، وبقراءتي الإفراد على أن الألف علامة الهمزة " [٣].

وهكذا كان تناول ابن عاشور ــ رحمه الله ــ لهذا الجانب الذي أراد أن يؤكد فيه على صحة هذه القراءات وتواترها عن طريق الاحتجاج لها بموافقة الرسم إيماناً منه بأن رسم المصحف شرط لا محيد عنه في أمر القراءات القرآنية كما قرر العلماء .

---

(١) سورة الإسراء : ٧ .

(٢) ألف الفرق : هي ألف تزاد خطاً بعد واو الجماعة ولا يُتلَفظ بها ، وهي للتفريق بين ما آخره حرف الواو مثل " يدعو" وما اتصل به فاعل هو ضمير الجماعة مثل " يكتبوا " .

(٣) التحرير والتنوير ٣٦/١٥ بتصرف ، وينظر: الكشف ٢ / ٤٢ ، ٤٣ ، والنشر ٢٢٩/٢ والإتحاف: ٣٥٥ .

وللمزيد من أمثلة الاحتجاج للقراءة بموافقتها الرسم. ينظر : التحرير والتنوير ١ / ٧٠٢ و١٠٢/٨ و ١٥/١٧ ، ٥٢ ، ١٣٤ و ١١١/١٨ و ١٨٢/١٩ و ١٢٠/٢٠ و ١٤/٢٣ و ١٢٠/٢٤ و٩٩/٢٥ و ٢٤٢/٢٧ ، ٤١٤ .

المبحث السادس

أثر الرسم العثماني في الترجيح بين القراءات

تعد موافقة القراءة رسم المصحف أساساً من الأسس التي بنى عليها ابن عاشور ترجيحه لبعض القراءات في المواضع النادرة التي صرح فيهات بالترجيح بين القراءات القرآنية في تفسيره ، فقد قال ــ رحمه الله ــ في سياق حديثه عن قول الله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (١) : " وقد قرأ باللغة الفصحى (بالصاد) جمهور القراء ، وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل ، والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى " (٢).

وبالنظر في موقف ابن عاشور عموماً من هذه القضية ــ أعنى قضية الترجيح بين القراءات ــ نجد أنه لم يثبت على رأى واحد ، وإنما اختلف موقفه تجاه هذه القضية ، فتارة يذهب إلى القول بالترجيح وتارة أخرى يقول بعدم الترجيح .

أما قوله بالترجيح فإنه إما أن يصرح بذلك كما في المثال السابق ، وإما أن يشير إليه كما ذكر في سياق حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾(٣)، حيث قال : " وقرأ الجمهور هاء (هو) بالضم على الأصل وقرأها قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بالسكون للتخفيف عند دخول حرف العطف عليه ، والسكون أكثر من الضم في كلامهم وذلك مع الواو والفاء ولام الابتداء ... ومما يدل على أن أفصح لغات

---

(١) سورة الفاتحة : ٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١ / ١٩٠ .
قلت : وقراءة قنبل بالسين بخلف عنه ، وهي أيضاً لرويس وجهاً واحداً ، وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي ، وبالصاد قرأ الباقون ومعهم قنبل فى وجهه الثاني. النشر : ١ / ٢١٣ ، والإتحاف : ١٦٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦ .

العرب إسكان الهاء من (هو) إذا دخل عليه حرف أنك تجده في الشعر فلا يتزن البيت إلا بقراءة الهاء ساكنة ، ولا تكاد تجد غير ذلك بحيث لا يمكن دعوى أنه ضرورة " (١).

فقد أشار ابن عاشور هنا إلى أن القراءة بإسكان الهاء أفصح من التحريك ، وحجته في ذلك أن الإسكان هو الأكثر في شعر العرب ، وليست الكثرة من أجل الضرورة الشعرية وإنما من باب استعمال الأفصح (٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن ما ذكره ابن عاشور من أن الإسكان هو الأصل خلاف ما عليه أكثر علماء التوجيه كابن خالويه ومكي والمهدوي وابن أبي مريم وغيرهم (٣).

وأما منعه الترجيح فإنه لم يصرح به وإنما أشار إليه في بعض المواضع من تفسيره ، ومن ذلك قوله : " ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة ، وهو تمايز متقارب ، وقل أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحاناً ، على أن كثيراً من العلماء كان لا يرى مانعاً من ترجيح قراءة على غيرها، ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري والعلامة الزمخشري، وفى أكثر ما رُجح به نظر سنذكره في مواضعه"(٤) ، كذلك ما ذكره في سياق حديثه عن القراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ

---

(١) التحرير والتنوير : ١ / ٣٨٧ بتصرف، وينظر : الكشف : ١ / ٢٣٤، ٢٣٥، والنشر : ٢ / ١٥٧ ، والإتحاف : ١٧٤ .

(٢) ينظر : الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه فى توجيه القراءات للدكتور / محمد بن سعد القرني : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٧ ، والكشف : ١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وشرح الهداية : ١ / ١٥٧ ، والموضح : ١ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٦١ ، ٦٢ .

الدِّين ﴾ (١) حيث قال : " وكلتاهما ــ يعني مالك بالألف وملك بدونه (٢)ــ صحيحة ثابتة كما هو شأن القراءات المتواترة ، وقد تصدى المفسرون والمحتجون للقراءات لبيان ما في كل قراءة منهما من خصوصيات بحسب قَصْر النظر على مفهوم كلمة ملك ومفهوم كلمة مالك ، وغفلوا عن إضافة الكلمة إلى يوم الدين ، فأما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا في إفادة أنه المتصرف في شئون ذلك اليوم دون شبهة مشارك ، على أن مالك لغة في ملك " (٣).

فقد أفاد كلامه هنا أن معنى القراءتين عند إضافتهما إلى " يوم الدين " واحد لا يتغير ، ومن هنا لم يلجأ إلى الترجيح بين القراءتين ، إضافة إلى أنهما – على بعض الأقوال – لغة واحدة (٤).

هذا ، وإن جاز الترجيح بين معاني القراءات أو أدلة هذه المعاني لكن لا ينبغي أن يتعدى هذا الترجيح إلى القراءات نفسها لئلا يترتب على ذلك تضعيف بعض القراءات المتواترة أو إخراجها من مكانتها التي هي عليها رواية وإسناداً، قال النحاس : " والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال : إحداهما أجود من الأخرى ؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك " (٥)، وقال أبو شامة :

---

(١) سورة الفاتحة : ٤ .

(٢) قرا بالألف عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر، وبغير ألف قرأ الباقون . النشر : ١ / ٢١٣ ، والإتحاف : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ١ / ١٧٥ بتصرف يسير .

(٤) ينظر : الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات : ٢٠٥ .
وللمزيد من أمثلة الإشارة إلى عدم الترجيح . ينظر : التحرير والتنوير ٢ / ١٩٩ ، ٣٦٨ و ٨٦/١٠ و ٣٦٨/٢٨ .

(٥) إعراب القرآن له : ٥ / ١٣٠ .

" وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين ــ يعني مالك وملك ــ حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما " (١)، ونبه الزركشي على أن ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى غير مرضى ، لأن كلتيهما متواترة ، ونقل حكاية بعضهم قول ثعلب : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس ، فضلت الأقوى ، وهو حسن (٢).

(١) إبراز المعاني : ٧٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٣٩ .

المبحث السابع

تعليل ظواهر الرسم عند ابن عاشور

المقصود بظواهر الرسم القواعد السِّت التي حصر فيها العلماء أمر الرسم عن طريق تتبعهم للكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها ، وهي الحذف ، والزيادة ، والهمز، والبدل ، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما .

وبالنظر في كتاب الله عز وجل نجد أن رسمه يوافق الرسم الإملائي في أغلب الكلمات، وهناك كلمات يخالف رسمها القواعد الإملائية المعروفة ، وهي كلمات معينة لا يصعب على أحد إذا لُقِّنَها أن ينطق بها صحيحة كما وردت في رسمها العثماني ، وقد تتبع علماء الرسم هذه الكلمات التي يخالف رسمها نطقها وأحصوها وأثبتوها في مؤلفاتهم ، لكن كانت وما زالت هذه الكلمات محل تساؤل عند العلماء القدامى منهم والمحدثين ، فمنهم من عارض تفسيرها وذهب إلى أنها توقيفية وأنها تخفى من الأسرار ما لا سبيل إلى الوصول إليه ، ومنهم من رأى أنها ترجع إلى خطأ الكاتب في الكتابة ، ومنهم من أيد القول بتعليلها وساق الكثير من العبارات في تفسيرها .

وقد اهتم ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه المسألة اهتماماً كبيراً وأدلى بدلوه فيها ، وأورد تعليلات عديدة ومتنوعة للظواهر المذكورة في كثير من المواطن في تفسيره كالإشارة إلى الأصل ، واحتمال القراءات ، واعتبار حال النطق ، ومراعاة حال الوقف ، وتمثيل رسم قديم ، وغير ذلك .

وكان من منهجه في هذا الجانب أنه يذكر تعليل الظاهرة الموجودة في رسم الحرف القرآني دون اهتمام بإيراد أقوال من تقدمه من العلماء فيها أو التعقيب على تلك الأقوال ، ومن ذلك تعليله حذف ياء " المهتدي " في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ

﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ (١) بقوله : " وحذفت ياء " المهتدى " في رسم المصحف(٢) لأنهم وقفوا عليها بدون ياء على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنون بحذف الياء ، وهي لغة فصيحة غير جارية على القياس ، ولكنها أوثرت من جهة التخفيف لثقل صيغة اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في آخر الكلمة ... " (٣).

وقوله في حذف الألف من لفظ " تخف " في قوله تعالى : ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (٤)، " وكلمة (تخف) مكتوبة في المصاحف بدون ألف لتكون قراءتها بالوجهين " (٥).

وقوله في فصل لام (مال هذا) عن اسم الإشارة الذي بعدها في قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ (٦): " ولعل وجه هذا الانفصال أنه طريقة رسم قديم ، كانت الحروف تكتب منفصلاً بعضها عن بعض ، ولاسيما حروف المعاني ، فعاملوا ما كان على حرف واحد معاملة ما كان على حرفين ، فبقيت على يد أحد

---

(١) سورة الإسراء : ٩٧ .

(٢) ينظر : المقنع : ٣٩ ، وسمير الطالبين : ٦٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٢١٥ ، وينظر أيضاً : ٢٣ / ١١٨ من المصدر نفسه .

(٤) سورة طه : ٧٧ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٧٠ .
وقد قرأها حمزة بحذف الألف والجزم ، والباقون بالألف والرفع . النشر ٢ / ٢٤١ ، والإتحاف : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٦) سورة الفرقان : ٧ ، وكذلك كتب ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ النساء : ٧٨ ، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ الكهف : ٤٩ و ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ المعارج : ٣٦ . ينظر : المقنع ٨٠ ، والوسيلة : ٣٥٠.

كتاب المصحف أثارة من ذلك ، وأصل حروف الهجاء كلها الانفصال ، وكذلك هي فى الخطوط القديمة للعرب وغيرهم ..." (١).

وتعليله حذف واو " يمح " من قوله تعالى : ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ (٢)بقوله : " ففعل (يمح) مرفوع ، وحقه ظهور الواو فى آخره ، ولكنها حذفت تخفيفاً فى النطق ، وتبع حذفَها فى النطق حذفُها فى الرسم اعتباراً بحال النطق كما حذف واو ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾(٣)وواو ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾(٤) " (٥).

وقد يعرض ـــ رحمه الله ـــ لتعليلات بعض العلماء فى بعض المواضع ويرد عليها ثم يعلل بما يراه مناسباً ، ومن ذلك قوله فى سياق حديثه عن قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (٦): " وكتب الربا فى المصحف حيثما وقع بواو بعدها ألف(٧) والشأن أن يكتب ألفاً ، فقال صاحب الكشاف : كتب كذلك على لغة من يفخم (٨)أي ينحو بالألف منحى الواو ، عكس الإمالة ، وهذا بعيد ، إذ ليس التفخيم لغة قريش حتى يكتب بها المصحف ، وقال

---

(١) التحرير والتنوير : ١٨ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) سورة الشورى : ٢٤ ، وينظر : المقنع : ٤٢ ، والوسيلة : ٢٩٧ ، ورسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة : ٤٥ .

(٣) سورة العلق : ١٨ .

(٤) سورة الإسراء : ١١ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٨٧ ، وينظر أيضاً : ١٩ / ٢٥٤ و ٢٥١/٢٧ و ٢٥٤/٢٨ من المصدر نفسه .

(٦) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٧) ينظر : المقنع : ٦٠ ، والوسيلة : ٣٢٢ .

(٨) تفسير الكشاف : ١ / ٣١٥ .

المبرد : كتب كذلك للفرق بين الربا والزنا [١]، وهو أبعد لأن سياق الكلام لا يترك اشتباهاً بينهما من جهة المعنى إلا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾ [٢]وقال الفراء : إن العرب تعلموا الخط من أهل الحيرة وهم نبط يقولون في الربا : رِبَوْ بواو ساكنة ، فكتب كذلك [٣]وهذا أبعد من الجميع .

والذي عندي أن الصحابة كتبوه بالواو ليشيروا إلى أصله كما كتبوا الألفات المنقلبة عن الياء في أواسط الكلمات بياءات عليها ألفات ، وكأنهم أرادوا في ابتداء الأمر أن يجعلوا الرسم مشيراً إلى أصول الكلمات ثم استعجلوا فلم يطّرد في رسمهم ... وقال صاحب الكشاف : وكتبوا بعدها ألفاً تشبيهاً بواو الجمع [٤]وعندي أن هذا لا معنى للتعليل به ، بل إنما كتبوا الألف بعدها عوضاً عن أن يضعوا الألف فوق الواو ، كما وضعوا المنقلب عن ياء ألفاً فوق الياء لئلا يقرأها الناس الربُو " [٥].

وفى بعض المواطن يردف تعليله بإيراد أقوال بعض العلماء ثم يسوق ردوداً وأجوبة لغيرهم على هذه الأقوال ، كقوله معقباً على قراءة " يقض " من قولـــه تعالى : ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [٦] بسكون القاف وضاد معجمة مكسورة : " وهو في المصحف بغير ياء [٧] فاعتذر عن ذلك بأن الياء حذفت في الخط تبعاً لحذفها في اللفظ في حال الوصل

---

(١) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣ / ٨٠ .

(٢) سورة الإسراء : ٣٢ .

(٣) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان ٧ / ٣٩٣ ، وينظر : الرحيق المختوم للشيخ / حسن بن خلف الحسيني : ٦٤ .

(٤) تفسير الكشاف : ١ / ٣١٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٣ / ٨٠ بتصرف يسير ، وينظر أيضاً : ١٩ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ من المصدر نفسه .

(٦) سورة الأنعام : ٥٧ ، وقد سبق بيان القراءات الواردة فى هذا الحرف .

(٧) ينظر : المقنع : ٣٨ ، والمختصر فى مرسوم المصحف الكريم : ٥٤ ، والجامـــع لما يحتاج إليه من رسم =

، إذ هو غير محل وقف ، وذلك مما أجرى فيه الرسم على اعتبار الوصل على النادر كما كتب ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ (١)، قال مكي : قراءة الصاد – أي المهملة – أحب إلىّ لاتفاق الحرميين – أي نافع وابن كثير – عليها ، ولأنه لو كان من القضاء للزمت الباء الموحدة فيه (٢) يعني أن يقال : يقض بالحق ، وتأويله بأنه نصب على نزع الخافض نادر ، وأجاب الزجاج بأن الحق منصوب على المفعولية المطلقة (٣)، أي القضاء الحق " (٤).

وقد يكتفى – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى – بإيراد تعليلات بعضهم دون رد أو تعقيب إشارة إلى ارتضائه هذه التعليلات وموافقته عليها ، كما فعل في حديثه عن لفظ " ننجي " من قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٥)حيث قال: " واعلم أن كلمة (ننجي) كتبت في المصاحف بنون واحدة كما كتبت بنون واحدة في قوله في سورة يوسف ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ (٦) ووجه أبو على هذا الرسم بأن النون الثانية لما كانت ساكنة وكان وقوع الجيم بعدها يقتضى إخفاءها ، لأن النون الساكنة تخفى مع الأحرف الشَّجْرية وهي الجيم والشين والضاد (٧)، فلما أخفيت حذفت في النطق فشابه إخفاؤها

= المصاحف : ٥٠ .

(١) سورة العلق : ١٨ .

(٢) ينظر : الكشف : ١ / ٤٣٤ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٢٠٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧ / ٢٦٨ .

(٥) سورة الأنبياء : ٨٨ .

(٦) آية : ١١٠ ، وينظر : المقنع : ٩٠ ، ٩١ ، وأوراق غير منشورة من كتاب المحكم : ٧٣ . والمختصر في مرسوم المصحف الكريم : ٦٥ ، ٧٥ .

(٧) سميت هذه الأحرف بالشَّجْرية نسبة إلى الشَّجْر ، وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى . ينظر : التحديد في الإتقان والتجويد للداني : ١ / ١٠٥ ، والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري : ١١٤ .

حالة الإدغام ، فحذفها كاتب المصحف في الخط لخفاء النطق بها في اللفظ [١]، أي كما حذفوا نون (إن) مع (لا) في نحو: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [٢] من حيث إنها تدغم في اللام " [٣].

وهكذا تنوعت تعليلات ابن عاشور لظواهر الرسم كما تنوعت أساليبه في إيرادها ، مما يؤكد على اهتمامه بهذه القضية وعنايته بها في تفسيره ، لكن يؤخذ عليه في هذا الجانب قوله في كثير من المواطن بأن عدم اطراد الرسم يرجع إلى استعجال الصحابة في الكتابة ، وأن الرسم لم يكن منضبطاً زمن كتابة المصاحف وغير ذلك لما سنعرض له في المبحث التالي بمشيئة الله تعالى .

(١) ينظر : الحجة له : ٢ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، و ٣ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) سورة الأنفال : ٧٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣٣ ، ١٣٤ .
وللمزيد من أمثلة تعليل ظواهر الرسم ينظر : ١ / ٤٥٧ و ٢٥ / ١٠٥ و ٣٣٢/٢٦ ، و ٢٨/ ٣١٩ . و ١٣١/٢٩ وغير ذلك من المصدر نفسه .

المبحث الثامن

مآخذ على ابن عاشور في قضية الرسم العثماني

اتضح مما تقدم مدى إحاطة الشيخ ابن عاشور – رحمه الله تعالى – بمسائل الرسم العثماني ، فقد ربط بين الرواية والرسم ، وحث على متابعة الرسم وعدم مخالفته ، واحتج به للقراءة ، ورد على ادعاء وقوع الخطأ فيه ، وعلل ظواهره في كثير من المواضع ، إلى غير ذلك من الأمور التي تبرز تمكنه من هذا الفن وتدل على عنايته به، لكن الكمال لله وحده ، ومن طبيعة العمل البشري أن يعتريه النقص والزلل ، ومن ثم وقفنا على بعض الأمور التي تؤخذ على الشيخ ابن عاشور فيما يتعلق بالرسم العثماني ، وفيما يلي أذكر أهم هذه الأمور ، فأقول – وبالله التوفيق – :

١ – ادعاؤه استعجال الصحابة الكرام في كتابة المصحف ، وإشارته إلى عدم إحكامهم صناعة الخط ، وتأكيده على أن الرسم لم يكن منضبطاً تمام الانضباط زمن كتابة المصاحف فقد علل كتابة " الربوا " بواو بعدها ألف بأن الصحابة كتبوه كذلك ليشيروا إلى أصله، ثم قال : " وكأنهم أرادوا في ابتداء الأمر أن يجعلوا الرسم مشيراً إلى أصول الكلمات ثم استعجلوا فلم يطرد في رسمهم" (١)، وقال في تعليل وصل " أنما " من قوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ (٢): " وكتبت هذه – أي (ما) – متصلة بـــ (أنّ) لأن زمان كتابة المصحف كان قبل استقرار قواعد الرسم وضبط الفروق فيه بين ما يتشابه نطقه ويختلف معناه ، فالتفرقة في الرسم بين (ما) الكافة وغيرها لم ينضبط زمن كتابة المصاحف الأولى " (٣)، ومن عباراته في ذلك أيضاً " ولم يكن

---

(١) التحرير والتنوير : ٣ / ٨٠ .

(٢) سورة الأنفال : ٤١ .

(٣) التحرير والتنوير : ٧/١٠ .

المتقدمون يتوخون الفروق في رسم الخط " (١)، " الرسم القديم لم يكن منضبطاً كل الضبط " (٢)، " الرسم لم يكن على تمام الضبط في صدر الإسلام وكان اعتماد العرب على حوافظهم " (٣)، " ولم يكن الرسم في زمن كتابة المصاحف في أيام الخليفة عثمان قد بلغ تمام ضبطه " (٤).

أقول : وقد سبقه إلى ذلك بعض العلماء كالفراء وابن قتيبة وابن خلدون (٥)، وهو ادعاء غير صحيح ، إذ لو كان الأمر كذلك لما أجمعت الأمة على المصاحف العثمانية ، ولما كانت موافقة خط المصحف شرطاً فى قبول القراءة ، لكن الذي دعى هؤلاء إلى هذا القول هو نظرهم إلى الرسم المصحفى من خلال قواعد الهجاء التى وضعها علماء العربية بعد نسخ المصاحف ودراسة الرسم فى ضوء هذه القواعد ، ظناً منهم أن هذه القواعد هى التى تتحكم فى أمر الرسم ، والحقيقة بخلاف ذلك ، فإن الرسم المصحفي هو الذي أثر في هذه القواعد ، وذلك عن طريق دراسته واعتماد العلماء على ما ورد فيه من ظواهر فى مرحلة التقعيد .

٢ – وصفه بعض القراءات المتواترة بالقرب من الشذوذ لتوهم مخالفتها رسم المصاحف المعتمدة ، كما فعل فى قراءة هشام بزيادة الباء بعد الواو فى " والكتاب " من

---

(١) السابق ١٦ / ٢٦٠ .

(٢) السابق : ١٨/٧٥ .

(٣) السابق : ١٩/٢٤٨ .

(٤) السابق ٢٦/٣٤٠ ، وينظر أيضاً ٤ / ١٧٥ ، و١٠/٢٠١ من المصدر نفسه .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٤٣٩ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ٥٦ ــ ٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون : ١ / ٧٥٧ .
وفى الرد على هذا الادعاء ينظر : المدخل لدراسة القرآن الكريم : ٣٥٥ ، ورسم المصحف ونقطه : ٩٦ ــ ٩٩ ، ورسم المصحف دراسة لغوية : ١٧٢ ، ١٨٦ .

قوله تعالى : ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ (١)حيث قال : " وقرأه هشام عن ابن عامر (وبالكتاب) بإعادة باء الجر ، وهذا انفرد به هشام ، وقد قيل إنه كتب كذلك فى بعض مصاحف الشام العتيقة ، وليست فى المصحف الإمام ، ويوشك أن تكون هذه الرواية لهشام عن ابن عامر شاذة فى هذه الآية ، وأن المصاحف التى كتبت بإثبات الباء فى قوله : (وبالكتاب) كانت مملاة من حفاظ هذه الرواية الشاذة " (٢).

والصواب أنها قراءة متواترة مقطوع بصحتها كقراءة الحذف ، رويت عن هشام من جميع طرق الحلواني إلا من شذ ، وهى الأصح عنه كما فى النشر (٣)، كذلك فهى موافقة لرسم مصاحف أهل الشام كما نص عليه علماء الرسم وغيرهم (٤)، قال الداني : وهذا هو الصحيح عندي عن هشام ، لأنه قد أسند ذلك من طريق ثابت إلى ابن عامر ، ورفع مرسومه من وجه مشهور إلى أبي الدرداء صاحب النبي ﷺ (٥)، وعلى فرض حكاية ابن عاشور ــ رحمه الله ــ هذا القول عن غيره فإنه لم يعقب عليه بردّ أو مراجعة .

٣ – إيراد بعض الشبه المتعلقة برسم المصحف دون رد أو تعقيب ، فقد حكى عن ابن عطية شبهة تغيير الحجاج بعض الأحرف في مصحف عثمان ، قال : " قال ابن عطية عن عوف بن أبي جميلة وأبي الزغل: كانوا (أي أهل الكوفة) يقرأون (ينشركم) فنظروا فى مصحف عثمان بن عفان فوجدوها (يسيركم) أي بتحتية فسين مهملة فتحتية

(١) سورة آل عمران : ١٨٤ .
وزيادة الباء لهشام بخلفه ، وقرأ الباقون بحذفها . النشر : ٢ / ١٨٤ ، والإتحاف : ٢٣٣ .
(٢) التحرير والتنوير : ٤ / ١٨٧ .
(٣) ٢ / ١٨٤ .
(٤) ينظر : الكشف : ١/٣٧٠ ، والمقنع : ١٠٦ ، والوسيلة : ١٤٧ ، ١٤٨ ، وشرح العقيلة لأبي شامة : ١١١، وجميلة أرباب المراصد : ٢٨٤ ــ ٢٨٧ ، والنشر : ٢ / ١٨٤ ، والإتحاف : ٢٣٣ .
(٥) جامع البيان له : ٣ / ٩٩٨ .

، فأول من كتبها كذلك الحجاج بن يوسف ، أي أمر بكتبها في مصاحف أهل الكوفة " (١)، ولم يعقب على ذلك أو يردّ عليه، وكان عليه أن يرد هذه الشبهة ويفنِّد ما جاء فيها .

وأصل هذه الشبهة ما أورده ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي حاتم السجستاني عن عبّاد بن صهيب عن عوف بن أبي جميلة أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، وذكر منها تغييره (هو الذي ينشركم) (٢) إلى (يسيركم) (٣) ، وهذه الرواية ضعيفة ، إذ فيها عبّاد بن صهيب وهو متروك الحديث (٤)، وعلى فرض صحتها فقد ذكر أحد العلماء أنه من المحتمل أن تكون بعض الحروف قد تسللت إلى المصاحف العثمانية في الكوفة من مصاحف ابن مسعود وأصحابه القديمة ، ومن منطلق حرص الحجاج على المحافظة على هجاء الكلمات كما هو عليه في المصاحف الأئمة وكل الأمر إلى جماعة من العلماء في عصره لينظروا في المصاحف ويمحوا ما كان مخالفاً للمصحف العثماني ، فوجدوا بعض المصاحف لا تخالف المصحف العثماني إلا في حروف يسيرة ، فغيروا هذه الحروف على ضوء ما هو موجود في المصحف العثماني ، ولا يشترط أن يكون التغيير من الصواب إلى الخطأ ، بل قد يكون من الخطأ إلى الصواب والخطأ المتوقع في هذه الحالة هو أن بعض المصاحف كتبت فيها حروف على نحو ما يوجد في قراءة ابن مسعود مما يخالف المصحف العثماني ، ويكون الصواب هنا تغييرها إلى مثل ما هي عليه في مصاحف الأمة (٥).

---

(١) التحرير والتنوير : ١١/ ١٣٦ ، وقول ابن عطية فى المحرر الوجيز : ٣ / ١٢٨ .

(٢) سورة يونس : ٢٢ .

(٣) ينظر : كتاب المصاحف : ٤٩ ، ٥٠ و ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) ينظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ٤ / ٢٨ .

(٥) ينظر تفصيل ذلك فى : رسم المصحف دراسة لغوية : ٦٠٢ ــ ٦٠٧ .

٤ – ذكره مخالفة بعض القراءات المتواترة رسم المصحف دون توضيح أمر هذه المخالفة ، مما يوهم فقدان القراءة ركناً من أركانها ، ومن أمثلة ذلك قوله فى قراءة أبي عمرو بنصب " أكون " من قوله تعالى : ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(١): " وقرأه أبو عمرو وحده من بين العشرة (وأكون) بالنصب ، والقراءة رواية متواترة وإن كانت مخالفة لرسم المصاحف المتواترة " (٢)، وتعقيبه على قراءة ترك التنوين فى لفظي " قواريرا " من قوله تعالى : ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ (٣) بقوله : " والقراءات رواية متواترة لا يناكدها رسم المصحف ، فلعل الذين كتبوا المصاحف لم تبلغهم إلا قراءة أهل المدينة " (٤)، كذلك تعقيبه على قراءة الظاء في " ضنين " من قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٥) بقوله : " ولا شك أن الذين قرأوه بالظاء المشالة من أهل القراءات المتواترة وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب قد

---

(١) سورة المنافقون : ١٠ .
وقراءة أبي عمرو بالواو بعد الكاف ونصب النون، وقراءة الباقين بحذف الواو وجزم النون . النشر : ٢ / ٢٩٠ ، والإتحاف : ٥٤٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨ / ٢٥٤ .

(٣) سورة الإنسان : ١٥ ، ١٦ .
وقرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر بالتنوين فيهما وبإبداله ألفاً وقفاً ، وقرأ ابن كثير وخلف العاشر بالتنوين في الأول وبتركه في الثاني ، ووقفا على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح بغير تنوين فيهما ، ووقفوا على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها إلا هشاماً فقد ورد عنه الخلاف في الوقف على الثاني ، فإنه وقف بالألف وبدونها ، وقرأ حمزة ورويس بغير تنوين فيهما، ووقفا عليهما بغير ألف . النشر ٢ / ٢٩٥ ، والإتحاف : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، والميسر: ٥٧٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٩٣ .

(٥) سورة التكوير : ٢٤ ، وقد سبق بيان القراءات فى هذا الحرف .

رووه متواتراً عن النبي ﷺ ، ولذلك فلا يقدح في قراءتهم كونها مخالفة لجميع نسخ مصاحف الأمصار ، لأن تواتر القراءة أقوى من تواتر الخط إن اعتبر للخط تواتر " (١).

ومع أنه حكى في المثال الأول موافقة القراءة المذكورة رسم مصاحف بعض الصحابة وذكر اعتذار أبي عمرو عن مخالفة قراءته هذه للمصحف بأن الواو قد حذفت في الخط اختصاراً ، وقرر أن القرآن يُتلقى بالتواتر لا بمجاء المصاحف (٢)، وأوضح في المثالين الثاني والثالث أن القراءات تروى بالتواتر ولا يقدح فيها كونها مخالفة للرسم(٣)، لكن كان عليه أن يبين حقيقة هذه المخالفة ، وينبه على أن القراءات المتواترة في هذه المواضع أو غيرها وإن خالفت الرسم صراحة فإنها توافقه تقديراً ، ومن ثم فإن الخلاف في ذلك يغتفر ولا يعد من مخالفة الرسم المردود ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وفى ذلك يقول المحقق ابن الجزري : " على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة ، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلني) فى الكهف (٤)وقراءة (وأكون من الصالحين) والظاء من (بضنين) ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود ، فإن الخلاف في ذلك يغتفر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني ، فإن حكمه في حكم الكلمة ، لا يسوغ مخالفة الرسم فيه ، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته " (٥).

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ١٦١ .

(٢) ينظر : السابق : ٢٨ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) ينظر : السابق : ٢٩ / ٣٩٣ و ١٦١/٣٠ .

(٤) آية : ٧٠ .

(٥) النشر : ١ / ١٧ ، ١٨ .

الخاتمة

ونسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بالدلالات الباهرات والآيات البينات ، وعلى آله وصحبه أولى الفضل والكرامات ، وبعد،،،

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

أولاً : تنوع الثقافة العلمية لدى الشيخ ابن عاشور ، وتبحره في كثير من العلوم ، وتميزه بالفكر الموسوعي والأسلوب الدقيق .

ثانياً : أن تفسير التحرير والتنوير يعد موسوعة علمية شاملة للكثير من العلوم الإسلامية والعربية ، فهو بجانب كونه تفسيراً للقرآن قد ضم في ثناياه الفقه والأصول والحديث والنحو والقراءات وغير ذلك من العلوم .

ثالثاً : أن تفسير التحرير والتنوير قد تضمن قدراً كبيراً من مسائل فن الرسم العثماني ، منها ما يتعلق بأصول الرسم وقواعده ، ومنها ما يتعلق برسم بعض الحروف في مواضعها من القرآن الكريم .

رابعاً : استبعاد ورفض ادعاء خطأ الصحابة الكرام في كتابة المصحف ، والتأكيد على علو مكانتهم في العلم والفصاحة .

خامساً : أن موافقة الرسم شرط في صحة القراءة وضابط من الضوابط الثلاثة التي يجب تحققها في كل قراءة صحيحة .

سادساً : أن الأساس الأهم والمعول عليه الأول في أمر القراءة إنما هو التلقي والمشافهة والنقل الصحيح ، وأن القراءة لا تؤخذ من رسم المصحف .

سابعاً : أن الشيخ ابن عاشور قد وظف الرسم في جوانب متعددة ، فربط بينه وبين الرواية ، واحتج به لها ، وأكد على كونه شرطاً في صحتها ، كما حث على

متابعة الرسم وعدم مخالفته ، ورد على وقوع الخطأ فيه ، ونبه على أثر الرسم في الترجيح بين القراءات المختلفة ، وعلل ظواهره في عدة مواضع من القرآن الكريم .

ثامناً : في تفسير التحرير والتنوير بعض المآخذ على الشيخ ابن عاشور فيما يتعلق بقضية الرسم العثماني ، وهذا من طبيعة العمل البشري ، إذ الكمال لله تعالى وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم

٢- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د / فريد الأنصاري ، منشورات الفرقان ، الدار البيضاء ، ط الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .

٣- البحث العلمي ، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه ، د / عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ، نشر مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض . ط الثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م .

٤- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، لأبي شامة الدمشقي ، تحقيق / إبراهيم عطوه عوض ، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٥- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنا الدمياطي ، دار الكتب العلمية - بيروت . ط الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .

٦- الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ـ بيروت .

٧- أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ، لأبي عمرو الداني ، دراسة وتحقيق د/ غانم قدوري الحمد ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية - دمشق . ط الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م .

٨- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين الزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، ط الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م .

٩- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة الدينوري ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٤ م .

١٠- تاريخ المصحف الشريف ، للشيخ / عبد الفتاح القاضي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١١- التحديد في الإتقان والتجويد ، لأبي عمرو الداني ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد ، الناشر مكتبة دار الأنبار – بغداد . ط الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٨م .

١٢- تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م .

١٣- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط . الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

١٤- التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر والتوزيع – عمان – الأردن . ط الأولى .

١٥- التيسير فى القراءات السبع، لأبي عمرو الداني ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١٦- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبد الله القرطبي ، تحقيق د / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

١٧- الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد، دار عمار – الأردن . ط الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٩م .

١٨- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد لبرهان الدين الجعبري ، دراسة وتحقيق / محمد خضير الزوبعي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية – دمشق . ط الأولى ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .

١٩- الحجة فى القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق / أحمد فريد المزيدي . دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م .

٢٠- الحجة للقراء السبعة ، لأبي على الفارسي ، دار الكتب العلمية – بيروت . ط الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٢١- الرحيق المختوم بنشر اللؤلؤ المنظوم للمتولى ، تأليف الشيخ / حسن بن خلف الحسيني الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة .

٢٢- الرسم العثماني ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيحة للدكتور / توفيق بن أحمد العبقري ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث . ط الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م .

٢٣- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ، للدكتور / غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر والتوزيع – الأردن ، ط الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

٢٤- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، للدكتور / شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام – القاهرة ، ط الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م .

٢٥- رسم المصحف ونقطه ، للدكتور / عبد الحي الفرماوي ، دار نور المكتبات ـ جدة ، السعودية ، ط الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

٢٦- الروضة في القراءات الإحدى عشرة لأبي على المالكي ، تحقيق د / مصطفى عدنان محمد سليمان ، الناشر مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، ودار العلوم والحكم – سوريا ، ط الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م .

٢٧- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ / على محمد الضباع . مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، الطبعة الأولى .

٢٨- شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور ، للشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

٢٩- شرح الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ، تحقيق د / حازم سعيد حيدر ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م .

٣٠- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، للقاضي أبي بكر بن العربي ، تحقيق / محب الدين الخطيب ، ومحمود مهدي الاستانبولي – دار الجيل ــ بيروت ، ط الثانية ١٤٠٧ هــ – ١٩٨٧م .

٣١- القراءات الشاذة ، دراسة لنشــأتها ومعاييرها ، للدكتور / سامي عبد الفتاح هلال ١٤٣٠ هــ – ٢٠٠٩م .

٣٢- الكتاب لسيبويه ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت .

٣٣- كتاب المصاحف ، لابن أبي داود السجستاني ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط الأولى ١٣٥٥ هــ – ١٩٣٦م .

٣٤- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق / محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط الخامسة ١٤١٨ هــ – ٢٠٠٢م .

٣٥- لسان العرب ، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار المعارف .

٣٦- المتحف في رسم المصحف ، للدكتور / عبد الكريم إبراهيم صالح ، دار الصحابة للتراث ــ طنطا ١٤٢٧ هــ – ٢٠٠٦م .

٣٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لابن عطية الأندلسي، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٣ هــ – ١٩٩٣م .

٣٨- محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه ، لإياد خالد الطباع ، دار القلم – دمشق ، ط الأولى ١٤٢٦ هــ – ٢٠٠٥م .

٣٩- المختصر في مرسوم المصحف الكريم ، لأبي الطاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد ، دار عمار – الأردن ، ط الأولى ١٤٢٩ هــ – ٢٠٠٨م .

٤٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم، للشيخ / محمد أبو شهبة، مكتبة السنة ـــ القاهرة، الطبعة الخاصة بالأمانة العامة للأوقاف بالكويت، ط الثانية ١٤٢٥ هـــ - ٢٠٠٤م .

٤١- المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٤٢- معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء ، تحقيق د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور .

٤٣- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو الداني، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

٤٤- من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، للدكتور / بلقاسم الغالي، دار ابن حزم - بيروت، ط الأولى ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦م .

٤٥- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي) بالقاهرة .

٤٦- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، لابن أبي مريم ، دراسة وتحقيق د/ عمر حمدان الكبيسي ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، ط الأولى ١٤١٤ هـــ - ١٩٩٣م .

٤٧- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، ط الثالثة ١٤٢٧ هـــ - ٢٠٠٦م .

٤٨- الهجاء في رسم المصحف ، ليوسف بن محمد بن أبي القاسم الخوارزمي ، تحقيق د / غانم قدوري الحمد ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية - دمشق ، ط الأولى ١٤٣٣ هـــ - ٢٠١٢م .

٤٩- الوسيلة إلى كشف العقيلة ، لأبي الحسن السخاوي ، دراسة وتحقيق د / نصر سعيد ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، ط الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

ومن الرسائل العلمية :

٥٠- الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير للباحث / محمد بن سعد بن عبد الله القرني، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة .

ملخص البحث

يتعلق هذا البحث بقضية من أهم القضايا التي عرض لها الشَّيخ الطَّاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وهي قضية رسم المصحف الشريف، ويوضِّح موقفه من هذه القضية، وما عرض له من مسائلها كالحثِّ على متابعة الرسم ، وأثره في الترجيح بين القراءات، والاحتجاج به لها، وغير ذلك.

وقد عرَّفت في هذا البحث بالشَّيخ ابن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير، وكذلك الرسم العثماني، ثم تناولت الرسم العثماني وصحة القراءة عند ابن عاشور، وبيان أن الأصل في القراءة النقل والرواية وليس الرسم، والرد على وقوع الخطأ في كتابة المصحف، وتعليل ظواهر الرسم عند ابن عاشور، والمـــآخذ عليه في قضية الرسم.

Research Summary

This research deals with one of the most important issues presented by Shaykh al-Tahrir Ibn Ashour in his interpretation of liberation and enlightenment, which is the issue of drawing the Holy Quran, and clarifies his sayings on this issue and the issues presented to him such as continuing of drawing, the urge to follow the drawing and its impact on the weighting between readings, protest by him for it.

I knew about Shaykh Ibn Ashoor and his interpretation of the liberation and enlightenment, as well as the Ottoman drawing. Then I dealt with Ottoman drawing and reading health at Ibn Ashour, The origin in reading, transport, novel and not drawing, Response to the error in writing Quran, Explanation of phenomena of drawing at the son of Ashour, and Abuses on him in the case of the Ottoman drawing.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢

تمهيد ٦

المبحث الأول : الرسم العثماني وصحة القراءة عند ابن عاشور ١١

المبحث الثاني : الأصل في القراءة النقل والرواية وليس الرسم ١٨

المبحث الثالث : الرد على ادعاء وقوع الخطأ في كتابة المصحف ٢٤

المبحث الرابع : الحث على عدم مخالفة الرسم لكونه سنة متبعة ٢٩

المبحث الخامس: الاحتجاج للقراءة بموافقتها الرسم ٣٣

المبحث السادس : أثر الرسم العثماني في الترجيح بين القراءات ٣٧

المبحث السابع : تعليل ظواهر الرسم عند ابن عاشور ٤١

المبحث الثامن : مآخذ على ابن عاشور في قضية الرسم العثماني ٤٧

الخاتمة ٥٣

أهم المصادر والمراجع ٥٥

فهرس الموضوعات ٦٣